الحلم والفجيعة

ليس غسان كنفاني ، مجرد علامة مضيئة في تاريخنا المعاصر . بل هو يحمل بذور الكشف عن المسار الصحيح لعلاقتنا بهذا التاريخ . فكنفاني يقع بالضبط في نقطة التقاء الفجيعة بالحلم ، هذه النقطة التي نسميها في لغتنا السياسية ، الممارسة . في هذه النقطة لم يكن الادب ممارسة لعلاقة الانسان بذاته او بغيره من الناس . بل كان علاقة حميمية بالبحر الجماهيري الذي يختزن اعظم الطاقات ، والذي يحمل في أحشائه فجر التحولات الجذرية .

في نقطة اللقاء هذه كتب كنفاني الادب ، ممارسة تاريخية ، في أقسى الظروف النضالية التي يمر بها شعب من الشعوب . « المخيم » ، « الهجرة » و« المقاومة » ليست عناوين لروايات كنفاني وقصصه . انها العصب الذي يشد الكلمات ، فتخرج مليئة بطاقة الفعل ، قادرة على طرح العديد من الاسئلة وان لم تكن قادرة على الاجابة عليها جميعا . كتابة كنفاني علاقة دائمة بين طرفين : القطيعة والاستعادة . القطيعة بوصفها رفضا للماضي ، رفضا للمخيم والهجرة وقيمهما التي تستلب الفلسطيني وتحيله لاجئا . والاستعادة بوصفها اكتشافا لجميع القيم النضالية الموجودة خلف ظاهرة المخيم . هذه العلاقة ، هي التي جعلت لكتابات كنفاني حضورا مذهلا . انه الحضور وسط الآلام ووسط الدماء التي يدفعها الفلسطيني في احتفال ثوري جماعي في مواجهة لحظة الانحطاط في حياتنا العربية .

وعندما انفجر غسان كنفاني ، انفجرت الكلمة الثورية الملتزمة ، شهادة على قدرة الثورة على الاستمرار ، وعلى تأسيس تراثنا النضالي الذي تكتبه الجماهير بدمائها .

كان الموت بطلا رئيسيا في كتابة كنفاني . غير ان بطولته لم تكن مجانية . كانت تأكيدا على نقيضه ، الذي لن نكتشفه اذا لم نخض لحظة الموت . فالحياة هي ذروة الموت كما اكتشف كنفاني بالممارسة التي هي بحجم الارض الذي يرقد في داخلها .

في الذكرى السنوية الاولى لاستشهاد كنفاني ، نرى كيف استحال الحبر دما يمتزج بالبرقوق الاحمر ، ويمتد نهرا من دماء آلاف الشهداء المقاتلين ، الذين يكتبون تاريخا ثوريا جديدا ، ونرى كيف يستحيل الدم مسارا تاريخيا يقود الى الحلم .

مرزوق يقود
قطار الصدفة

« الاشجار واغتيال مرزوق » هي العمل الروائي الاول لعبد الرحمن منيف . تحاول الرواية ، ان تعالج واقعنا السياسي والاجتماعي والثقافي من منظورين مختلفين : الياس نخلة الفلاح القادم من الطيبة ، يرى الحياة العربية من خلال الريف وتحولاته ، حيث يجد نفسه خارج المجتمع وخارج جميع اطاراته . ومنصور عبد السلام المثقف العائد من اوروبا ، الذي يواجه المدينة ، مسلحا بنقائه وايمانه بالديمقراطية ، فتسحقه حضارة القمع وترميه خارجا . الغربة والبحث عن عمل هو الذي يوحد بطلي الرواية . انهما غريبين لا يجدان مكانا ضمن الواقع الذي يعيشان وسطه . ولقاؤهما هو الاخر ، يتم خارج المجتمع . خارج الانتاج . الحوار في الرواية ، يجري داخل قطار يجمعهما بطريق الصدفة. الاول ذاهب الى ما وراء الحدود، لانه بعد أن تنقل في جميع المهن الممكنة ، يمتهن التهريب ، والثاني ذاهب الى عمل له بعد مضي ثلاث سنوات على طرده من التعليم في الجامعة .